من هنا تبدأ السعادة الزوجية

١ - حسن الإختيار :

حرىٌ بمن أراد أن يكمل نصف دينه أن يُحسن اختيار شريكة العمر ، وللناس فى ذلك دروب وأحوال ، فمن باحث عن امرأة حسناء ، ومن باحث عن الغنى والمال ، ومن باحث عن ذات الحسب والنسب ... ، والإسلام دين الفطرة لم يكن ليأمر أصحابه بأن يتركوا ذات المال والجمال والحسب والجاه ، إنما يأمرهم أن يكون جُلّ اهتمامهم بذات الدين ، الشريفة العفيفة ، التى صانت عرضها ، وحفظت مفاتنها أن يراها من لا يحل لها ، قال رسول الله ﷺ : « **تُنكح المرأة لأربع : لجمالها ، ولحسبها ، ولمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات العين ، تربت يداك** » (١) .

أى ليكن أساس اختيارك ذات الدين وإلا التصقت يداك بالتراب كناية عن الخسران والشقاء ، وقال ﷺ : « **الدنيا متاع ، وخير متاعها الزوجة الصالحة** » (٢)

لماذا كانت ذات الدين أفضل ؟ .

ويجيب عن النبى الكريم ﷺ فيقول : « **ألا أخبركم بخير ما يُكنز المرء ؟ المرأة الصالحة ، إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته من نفسها وماله** » (٣) .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه أبو داود والنسائى .

وكيف نعرف أنها امرأة صالحة ؟ .

المرأة الصالحة التى تلتزم حدود الله وتعرف واجبها نحو الحق والخلق ويُعرف ذلك من :

١ - **الأسرة** : فالتنشئة الإجتماعية فى بيت يحترم مبادئ الإسلام وآدابه يكون لها أبلغ الأثر فى حياة الأبناء ، والأم الصالحة دائماً ما تكون ابنتها مثلها تحذو حذوها وتسلك مسلكها .

٢ - **المظهر** : فمن لبست ما يستر الجسد ولا يبدى زينتها فقد حفظت حدود الله ، قال الله تعالى : ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾ (١) .

٣ - **السلوك العام** : فلا يعرف عنها الإختلاط الماجن مع الشباب ويعرف جيرانها عنها سلوك المرأة المسلمة الملتزمة بالأدب والخلق .

وكما حث الإسلام الشاب الذى يريد الزواج بأن يختار ذات الدين ، فقد أمر ولى الفتاة أن يختار لها زوجاً صالحاً ، قال رسول الله ﷺ : « **إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير** » (٢) .

وأى فتنة تلك وأى فساد ذاك الذى حل ببلاد المسلمين ، حين أصبح الرجل يوزن بمليء جيبه وليس بدمائة خلقه أو نبل طبعه !! ، ولم يرعى المسلمون قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ**

---

(١) سورة النور الآية « ٣١ » .
(٢) رواه الترمذى .

عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (١) .

وهذا أكرم الخلق عند الله سبحانه وتعالى يزوج ابنته فاطمة رضى الله عنها لرجل صالح من فقراء المسلمين لا يملك إلا درعاً كان قد أعطاها إياه ، وهذا الزوج هو علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه .

ويعلم الراسخون فى العلم والمؤمنون منهم أن الإسلام لا يحض على الفقر ونبذ الغنى ، لأنه يقول على لسان نبيه ﷺ : « **نعم المال الصالح للعبد الصالح** » (٢) .

ولكن لما كان طالب الزواج فى العادة شاب لا يملك من زهرة الحياة الدنيا إلا القليل أمر الإسلام بتزويج الفقراء والمضى بهم قُدُماً إلى حياة العفة ، اتقاء الفتنة والفساد ، وسوف يغنيهم الله من فضله .

وليعلم عامة الناس أن الغنى ليس يجلب السعادة على كل حال ، ومن أصحاب رسول الله ﷺ من كان يرفض المال خوف الفتنة ، ورحم الله الصحابى الجليل أبا الدرداء حين أرسل إليه معاوية رضي الله عنه يطلب ابنته للزواج فأبى أن يزوجها إياه وخاف عليها فتنة المال والغنى وزوجها لرجل صالح آخر من فقراء المسلمين .

وكيف يستدل على صلاة الرجل وتقواه ؟ .

ذكرنا فى معرض الحديث عن المرأة الصالحة أن الأسرة لها أكبر تأثير فى سلوك الفتاة ، وهى أيضاً تؤثر فى سلوك الشاب بدرجة كبير ، ولكن الشاب بما

---

(١) سورة النور الآية « ٣٢ » .

(٢) قال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء رواه أحمد الطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه بسند صحيح .

يمتاز به من خاصية التمرد على الواقع وخاصة وهو مراهق فإن :

أ - جماعة الأصدقاء : يكون لها أكبر الأثر فى حياة الشاب ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل** » (١) .

فانظر إلى أصحاب ذلك الشاب المتقدم لخطبة ابنتك فإن كانوا صالحين فهو مثلهم وإن كانوا غير ذلك فإياك أن تقبل من كان من أهل الهوى .

ب - المسجد : فإن كان ممن يرتادون بيوت الله ويؤدى فرائضه فهو مؤمن ، وإذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان .

جـ - العمل : الرجل الذى يعمل ويكد ويتعب ، يستطيع أن يتحمل أعباء الأسرة ويكون كفؤاً للحياة الزوجية ويكون رجلاً بمعنى الكلمة .

يقول رسول الله ﷺ : « **ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده** » (٢) .

وعلى ولى الفتاة أن يختار لها من يعمل عملاً شريفاً حلالاً ، خالياً من الشبهه وليسأل أهل العلم إن كان لا يعلم هل ذاك العمل حلال أم لا .

٢ - الخطبة :

الخطبة وعد بالزواج ، وقد شرعت فى الإسلام لتنبت بذورة الحب بين الطرفين فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه خطب امرأة فقال له النبى ﷺ : « **هل نظرت إليها ؟ قال : لا ، قال ﷺ : فانظر إليها ، فإنه أحرى أن يؤوم بينكما** » (٣) .

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه النسائى والترمذى و صححه الألبانى ، صحيح الجامع الصغير الألبانى .

وكذلك أيضاً حتى لا يفاجأ الزوج بعيب فى زوجته لم يكن يعلمه ، قد يهدم الحياة الزوجية ، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : [أتى رجل رسول الله ﷺ فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار ، فقال له رسول الله ﷺ : « أنظرت إليها ؟ » قال لا ، قال : « فاذهب فانظر إليها فإن فى أعين الأنصار شيئاً »] (١) .

وقد رأيت بعض القبائل فى اليمن يكثر فيها حالات الطلاق ، وعرفت أن الزوج عندهم لا يرى زوجته إلا ليلة الزفاف ، فقلت : صدق رسول الله ﷺ حين قال : « فإنه أحرى أن يؤمن بينكما » .

ما حدود نظر الخاطب إلى خطيبته ؟ .

الحقيقة أن فى ذلك مذاهب شتى بين مترخص ومتشدد فى الأمر ، وينبغى هنا أن نفرق بين أمرين فى موضوع النظر .

الأمر الأول : ما يجوز أن ينظر إليه الخاطب من خطيبته بغير علمها : يجوز للخاطب أن ينظر إلى ما يدعوه لنكاحها منه ، لحديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل » (٢) .

قال جابر : فكنت أتخبأ لها – يقصد زوجته – حتى رأيت منها ما دعانى إلى نكحها ففعلت فتزوجتها (٣) .

الأمر الثانى : ما يجوز أن ينظر إليه الخاطب بعلم خطيبته : كما ذكرنا هناك من تشدد فى الأمر فقال : لا يرى منها شيئاً وهو ضعيف كضعف من

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) رواه أبو داود .

قال يرى منها جميع الجسد ، والذى عليه الجمهور « أنه يجوز للخاطب أن يرى من خطيبته الوجه والكفين لأنه يستدل بالنظر إلى الوجه على الجمال والدمامة وإلى الكفين على خصوبة البدن أو عدمها » [١] .

« فإذن الرؤية من قبل الخاطب لا خلاف فيها ، والتعيين لأماكن معينة بالجواز من عدمه لم يرد فيه دليل ، أما أن تتعمد المرأة فى كشف شيء غير الوجه والكفين فلم أقع فيه على دليل ، الأمر على النهى والله أعلم » [٢] .

وليعلم الخاطب أن الخطبة لا تحل حراماً - قبل العقد - فلا يجوز للخاطب أن يأخذ بيد خطيبته لنزهة خلوية ، فلا يجوز لها الخروج معه إلا مع ذى محرم ، وليحذر الذين يخالفون عن أمره أن يصيبهم الله ببعض ذنوبهم .

(١) فقه السُّنة ، السيد سابق .
(٢) من قضايا الزواج ، جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين .

اللقاء الناجح بين الزوجين

أساس السعادة الزوجية اللقاء الناجح بين الزوجين ، فهو البلسم الشافى من علل الحياة الزوجية ، « وقد حض النبيﷺ على استعمال هذا الدواء « المباضعة والجماع » ورغب فيه ، وعلق عليه الأجر ، وجعله صدقة لفاعله ، ففى هذا كمال اللذة ، وكمال الإحسان إلى الحبيبة ، وحصول الأجر ، وثواب الصدقة ، وفرح النفس ، وذهاب أفكارها الرديئة عنها وخفة الروح ، وذهاب كثافتها وغلظها ، وخفة الجسم ، واعتدال المزاج ، وجلب الصحة ودفع المواد الرديئة ، ولا تكمل اللذة حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة ، فتلذذ العين بالنظر إلى المحبوب ، والأذن بسماع كلامه ، والأنف بشم رائحته والفم بتقبيله ، واليد بلمسه ، فإن فقد من ذلك شيئاً لم تزل النفس متطلعه إليه ، فلا تسكن كل السكون ، ولذلك تسمى المرأة سكناً لسكون النفس ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ »[1] .

وقد لا يصل كلا الزوجين فى بداية الزواج لكمال اللذة المنشودة ، وربما يرجع هذا لقلة خبرتهما أو لغيرها من الأسباب ، فلا ينبغى أن يحكم أحدهما على فشل العلاقة بينهما بسرعة من غير تريث ، وقد جاءت امرأة تشتكى فشل تلك العلاقة مع زوجها ، ولم يكن قد مضى على زواجها منه فترة طويلة ، وجاءت للنبى ﷺ تطلب أن يطلقها من زوجها ، فردها رسول الله ﷺ قائلاً : « **لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك** »[2] .

---

(١) سورة الروم الآية « ٢١ » ، روضة المحبين ، الإمام ابن قيم الجوزية .

(٢) رواه مسلم .

ومن المعلوم أن الزوج إذا لم يستطع القيام بحق زوجته فى هذا المجال فإنه يجوز لها أن تطلب منه الطلاق وإذا لم يرضى طلقها القاضى ، فقد روى ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبى ﷺ وقالت : يارسول الله ثابت بن قيس ، ما أعتب عليه فى خلق ولا دين ، ولكنى أكره الكفر فى الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « **أتردين عليه حديقته** » ؟ قالت : نعم ، فقال له النبى ﷺ : « **اقبل الحديقة وطلقها طلقة واحدة** »[١] .

وقد قال الله تعالى : ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ** ﴾[٢] .

ويسمى هذا فى الشريعة « بالخُلع » ، والخلع هو أن تطلب المرأة الطلاق ، إن كان من زوجها أمر تقصير معها مثل ألا يستطيع معاشرتها أو لا يتحمل الإنفاق عليها ، أو أن تكرهه كرهاً شديداً بحيث لا تستطيع العيش معه ، أو غيره ، وعلى الزوج أن يطلقها طلقة واحده مقابل أن ترد عليه المهر أو بعضاً منه أو مبلغاً من المال يتفقان عليه ، ولا يجوز للمرأة أن تطلب من زوجها الطلاق من غير بأس أو ضرر واضح بيّن .

وهذه بعض النصائح لنجاح اللقاء بين الزوجين :

أولا : نصائح لليلة الزفاف :

١ - عليك بالطمأنينة وعدم الخوف أو الاضطراب ، وعلى الزوجة ألاّ تخاف ، ولا تسمع لغيرها ممن يبالغن فى وصف التعب والألم فهو غير صحيح ،

---

(١) رواه البخارى .

(٢) سورة البقرة الآية« ٢٢٩ » .

ومعظم الأطباء يؤكدون أن ٩٠ ٪ من حالات فشل اللقاء الأول بين الزوجين مصدرها التعب والإرهاق أو الخوف والقلق والتوتر .

٢ ـ لا يكن همك أيها الزوج فض الغشاء بأى طريقة ولكن عليك أولاً بمعاملة زوجتك برفق وحب وحنان ، وحبذا لو جلستم قليلاً وتجاذبتم أطراف الحديث وعمت روح الفكاهة ، والمرح بينكما ، فإن ذلك يزيل الخوف والتوتر وهو كاف بإذن الله للنجاح واللقاء بينكما .

٣ ـ أن يكون تجرد الزوجين من ملابسهما معاً وبالتدرج ، تقول مارى ستوب احدى عالمات النفس الشهيرة : « يجب أن يتجرد الزوج من ثيابه بصورة تدريجية كيلا تفاجأ الزوجة .... ولا يجوز أن تكون الزوجة عارية وهو بكامل ثيابه » (١) .

وقد تناقل بعض الناس أحاديث ضعيفة وأخرى موضوعه فى عدم جواز تعرى الزوجين ، وأصح ما جاء فى هذا الباب ، هو قول رسول الله ﷺ « **احفظ عورتك إلا من زوجتك ، أو ما ملكت يمينك** » (٢) .

وحديث عائشة رضى الله عنها : « **كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد بينى وبينه ، تختلف أيدينا فيه فيبادرنى ، حتى أقول د ع لى د ع لى ... وهما جنبان** » (٣) .

٤ ـ على الزوج ليلة عرسه أن يراعى حياء زوجته فيتعامل معها برفق ، وليعلم أن أول لقاء له أبلغ الأثر فى حياتهما بعد ذلك ، وعلى الزوجة أن تعلم

---

(١) عن كتاب تحفة العروس ، الاستنبولى .
(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى .
(٣) رواه البخارى .

أنها مع زوجها وحبيبها وسرها ، ولتكن لينة معه .

٥ -لا ينسى الزوج أن يدعو لزوجته بالبركة عند أول دخوله بها ، فقد قال رسول الله ﷺ : « **إذا تزوج أحدكم امرأة ... فليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة وليقل : اللهم إنى أسألك من خيرها وخير ما جلبتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جلبتها عليه** »[١] .

ولا ينسى أيضاً عند الجماع أن يدعو بقوله : « **بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا** » ، فإذا قضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً [٢] .

٦ -أفضل أوضاع الجماع ليلة الزفاف لسهولة فض الغشاء وهو أن تستلقى المرأة على ظهرها رافعة فخذيها إلى كتفيها ، ويحتضنها الزوج بين يديها ورجليها .

٧ -تهيئة الزوجة بمداعبتها وملاعبتها ، وتقبيلها ، ومص لسانها ، فإن ذلك يحرك شهوة الزوجة ويجعلها أكثر استجابة ويسهل الإيلاج ، قد قال رسول الله ﷺ لجابر رضي الله عنه : « **أفلا جارية - بكر - تلاعبها وتلاعبك** »[٣] .

٨ -احذر العقاقير الطبيعة أو المنشطات أو غيرها من الأشياء الضارة التى يظن البعض أنها ذات جدوى ، إلا أن ينصحك طبيب مختص إن كان بك ما يستدعى ذلك .

---

(١) رواه البخارى وغيره .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى ومسلم .

٩ - قد لا تستطيع فض غشاء البكارة فى ليلتك الأولى ، فلا داعى للخوف أو القلق ، فكثير من الناس لا يستطيع ذلك إلا بعد أيام ، ويرجع ذلك كما ذكرنا لخوف الزوجة أو الزوج ، ولو تم اتباع الإرشادات السابق ذكرها فلن يحدث هذا إن شاء الله .

١٠ - فى حالات نادرة يكون غشاء البكارة من النوع المطاطى ، ويحتاج حينئذ لتدخل جراحى من الطبيب المختص وهو أمر بسيط أيضاً .

١١ - الأيام الأولى من الزواج قد لا يشعر فيها الزوج بكمال اللذة ، وقد لا يستطيع أن يجامع زوجته بطريقة ترضيه ، وهذا كله نتيجة لقلة خبرتهما وسرعان ما يزول بمرور الأيام ويحصل بعدها على ما يحب .

ثانيا : نصائح عامة لنجاح اللقاء بين الزوجين :

١ - **اختر الوقت المناسب** : الوقت المناسب هو حين تتوفر الرغبة من الطرفين ويشتاق كل منهما للآخر ، ولا داعى لتحديد موعد مسبق .

٢ - **اختر الوضع المناسب** : لكل زوجين وضع يستريحان فيه ، ويحصلا على كمال اللذة، ويراعى الزوج البدين ذو الحجم الكبير ألاّ يلقى بثقله على زوجته فقد تتأذى من ذلك وتتمنى إنتهاء اللقاء بينهما، وعلى الزوج أن يختار وضعاً آخر لا يؤذى فيه زوجته أو أن يلقى بثقله على يديه .

٣ - **لا تكن بخيلا** : يتسرع البعض فينهى اللقاء مع زوجته بمجرد قضاء حاجته ، من غير أن ينتظر اشباعها وفى هذا ظلم للزوجة « فإذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى هى أيضاً نهمتها ، فإن إنزالها ربما يتأخر فيهيج شهوته »[١] .

---

(١) إحياء علوم الدين ، أبى حامد الغزالى .

٤ - **الاعتدال في الشهوة** : التوسط فى كل أمر خير ، والإسراف ضار بالبدن، مضيع لما بعده ، والاعتدال بخلاف الأيام الأولى فى الزواج ، مرتين فى الأسبوع على أن تكون الرغبة حاضرة .

٥ - **احذر ما يهيج الشهوة** : يعمد البعض إلى رؤية ما يثير شهوته وفوق أن هذا حرام ولا يجوز فإن له تأثير عكسى فيصاب المرء بالبرود الجنسى ، وهذا ماكان عند شباب الغرب لكثرة مظاهر الانحلال والمناظر الخليعة التى تعرض عليهم صباح ومساء .